مظاهر الثقافة الفنيّة

في لبنان

عهد « المشرق » الى فريق من ذوي الاختصاص في تدوين مظاهر الثقافة في لبنان ، فكان من خواطرهم ما يلي :

١

التصوير ــ الموسيقى ــ الراديو

التصوير

بزغ في لبنان فجر نهضة تصويرية جديدة شرعت معالمها تظهر في مجاليها المختلفة من معارض عامة وخاصة الى منتوجات حافلة مستقلة واعمال تصويرية فنيّة هامة . ورغم حداثة عهدها ، نشطت حركتها وأخذت تمتد وتتسع يوماً عن يوم مذللة العقبات التي تعترض طريقها ، مفسحة المجال للرثوب نحو الفن وثبات واسعة موفقة على يد نخبة الفنانين اللبنانيين الموهوبين الذين كانوا في طليعة طلاب الاكاديميات الاوربيّة ، والذين لا عذر لهم إن هم توانوا عن تأدية رسالتهم الفنية ولم يستمرّوا في مقدمة رفاقهم في كل قطر ومصر .

ومما هو جدير بالذكر ان الجمهور اللبناني بدأ يتذوّق الفن ويهتمّ به فيتقاطر الى زيارة معرض تصوير ، ويتسابق للتأمل في المظاهر الفنيّة المتنوّعة . وصرنا نرى احياناً بعض المنازل مزيّنة الجدران بلوحات من ريشة مواطنينا ، كما ان الاكليروس ، الذي كان يكتفي لسنوات خلت ببعض نسوخات اوربية تأتيه على الغالب مزيّفة ، أخذ يكلف الفنانين اللبنانيين وضع صور للكنائس والمعابد والاديرة . . . ولا بدع بذلك فان الكنيسة كانت ، منذ أقدم عهدها ، وما

زالت تشجع الفنّ وتحضن الفنانين وتوحي اليهم بشتى المواضيع واساليبها، ولولاها لما كان ميكالنج ورفائيل واقرانهما . . .

وقد أسفر هذا الميل الجديد عن شغل الفنان صليبا الدويهي نحو حول كامل في كنيسة المقرّ البطريركي الصيفي في الديمان ، فأتى ، على ما يقال ، بعمل فني جبّار فريد بنوعه في هذه الديار .

وهكذا كلّف المهاجرون اللبنانيون في بيت شباب الشيخ قيصر الجميّل وضع تصميم لهيكل معبد السيدة في مستقط رأسهم ، فاتحفهم فنّاننا بوضع مهيب ، مذوق هو في الوقت نفسه غاية في البساطة والعظمة، وقد صوره بصورة من النوع النافر لفادي البشر في حضن امه الحزينة مفعمة بالمعاني السامية والشعور الرقيق والاحساس العميق والعاطفة الدينية الجيّاشة ، جديرة بالاعجاب والتقدير . (انظر الرسم ١ الى اليسار)

وهناك عمل ثانٍ للجميّل من نوع آخر لا يقلّ روعة وجمالاً عن الاول ، هو لوحة القديس هارون . نفض الشيخ قيصر غبارَ القدم والتقليد والتقيّد عن الصورة

القديمة المعروفة لابي الطائفة المارونية ليزين كاتدرائية بيروت بصورة جديدة ، كبيرة الحجم ، متزنة الاقسام ، محكمة التأليف ، منسجمة التقاطيع ، متلائمة الألوان طبيعية الامارات ، عليها سمة رائعة من القدسية والكمال والوقار ، تمثل الموارنة ملتفين للصلاة حول ابيهم ومؤسسهم القديس ، ضمن إطار بديع من الفن العالي .

ومن مظاهر حركة العام الفائت « معرض اصدقاء الفن الثالث » الذي جمع حسب عادته المألوفة اكثر المنتوجات الفنية اللبنانية والاجنبية . اذ عرض فيه كثير من المصورين لوحات عديدة متفاوتة القيمة والأهمية ، الى جانب بعض النقوش للنحاتين اللبنانيين الذين يترعمهم ، دون منازع ، الفنان اللبناني يوسف الحويك ، وقد زرع المعرض « تفورا » كأنها الزهور تتفتح بين الصخور .

اما اللوحات التصويرية فيمكننا ان نذكر منها باعجاب : « غزلان » عمر الانسي التي تسرح وتمرح في حديقة بيته ذي « المدخل » القروي الساذج كما نراه في لوحة اخرى بين الصيّر الشائك . « وأشجار الكينا » خير دليل على سعة أفق صاحبها وانواره المشتة . وهو يحسّ حقيقة جوّ بلاده ويشعر بجمالها فينقل ذلك الى شاشته بفنّ مجيد وإخلاص وافر .

وهناك « مصبغة » و« راهب » فيليب موراني ، الذي يدرس مواضيعه كما يتقن دقائق لوحاته وتفاصيلها (الرسم ٢) . وعلى رغم ما قضى في

الرسم ٢ : « راهب » للجميّل

الرسم ٣ : « بدوية » لماري حداد

باريس من سنوات ، فاننا نراه يحافظ على صبغة ايرانية لطيفة فيبقى شرقياً كل ما في هذه الكلمة من عذوبة ومعنى . وما القول في اشجاره التي

تتنسم الحياة كأنها حديقة لا صورة .

و« مناظر » ماري حداد و« بدوياتها » وتصاويرها الدائمة المتانة الرائعة في كلاسيكيتها المصرية وألوانها القوية . . . (الرسم ٣)

و« بركة عين البركة » في شتورا الجميلة الاخراج ، البعيدة التوفيق و« الحمّال الكردي » وغيرهما كثيراً للآنسة بلانش عمون التي تدمّغ لوحاتها بطابع خاصّ مستقلّ استقلال شخصيتها الفذّة (الرسم ٤) .

الرسم ٥ : « لبنانية » للجميّل

و« حورانية » قيصر الجميل ، الفنية بألوانها الموسيقية ، و« عاريته » التي حملت الريحاني على القول : « لو جمعوا صور العاريات لزوّروا بها العالم . اما اخوات هذه فقليلة . » وبالواقع انها درس عميق للجسم البشري العاري وبحث بيكولوجي وتحليل نفساني يمثل نوعاً خاصاً من الفن أصح الجميّل عميده . يمزج حقيقة ملاحظاته وشعوره بسحر ريشته الناعمة وألوانه المختارة المتزنة . (الرسم ٥)

الرسم ٤ : بركة « عين البركة » لبلانش عمّون

الرسم ٦ : « اهدني » للدويهي

ولا بدّ من ذكر صورتين لمكاروف فاضل تمثلان فتاتين جمتا البساطة والحفر الى حدّ بعيد ؛ وصورة رائعة لصليبا الدويهي خلّد فيها مثال الاهدني .

واخيرًا نذكر من الفنانين الاجانب اولئك الذين اهتموا بشؤون شرقية ، فعالجوا مواضيع وطنية ، وصوّروا مناظر محلّية . اولئك الذين عندهم فكرة صحيحة عن بلادنا وسكانها واهاليها لا اولئك الذين يدّعون باطلًا معرفة لبنان

دون ان يكون للوحاتهم صلة به رغم حياتهم الطويلة تحت سمائه الزرقاء .

وعلى كلّ فلا ننكر الفوائد التي يستفيدها الفن اللبناني من جراء المنافسة الاجنبية في هذا المضمار ، وان يكن لهذا الاختلاط حسنات وسيئات . ومن اللوحات التي تستحق الذكر :

« ناقرو العود » لدوبال ، و« الفجر » لوبياه ، و« عذراء وطفل » والاحداث لليسور ، ومناظر لبنانية لمدام جوردانو ، وخليج جونيه وصرفاً صيدا ومناظر لبنانية كثيرة لغيرهم . . .

وهناك مظهر آخر للفن ، على شكل جديد في بلادنا ، لاقى رواجاً كبيراً هو متحف ميشليه الفني الذي أحيا امام نواظرنا أجمل مواقعنا التاريخية وبعض مناظرنا الطبيعية وشوارعنا المحلية على وجهها الأفضل . كل ذلك بمزيج من الفنّ والظرف اللطيف ، وقد علقت على جدران القاعة بعض لوحات موفقة لهذا الفنّان الشيخ منها واحدة «في الطريق الى مكة» نشرت عنها نسخة مجلة « الالستراسيون» الفرنسية منذ نحو خمسين سنة ! (الرسم ٧)

الرسم ٧ : « قهوة » لميشليه

نقف عند هذا الحدّ من الفنانين اللبنانيين والاجانب كي لا يطول بنا التعداد مكتفين بهذه المظاهر المختلفة للدلالة على مصير نهضتنا الفنية وحسن سير حركها في لبناننا الفتّان الذي يكاد يكون بكراً من هذه الناحية .

وقديماً قال ألدوس هكسلي :

«لم يستطع أحدٌ ان يعطي صورة كاملة عن منظر شرقي لان الفنان الموهوب والمثري كان لا يشعر بالحاجة الى السفر لزيارة الشرق وتصويره ؛ كما ان الفنان

الموهوب الرقيق الحال لا يمكنه ان يتكبد نفقات مثل هذه الرحلة .»

فهل يبطل الفنانون اللبنانيون زعم هكسلي هذا ؟ ويحققون قول برغسون: اسمى ما يترق اليه الفن هو اباحة الطبيعة ! مستفيدين مما وهبت الطبيعة لبنان من جمال وسحر !

هذا ما سوف يكشفه لنا الغد ، على كلّ ان نهضة هذا مطامحها لجديرة بالاحترام .

ج ح .

الرسم ٨ : « كرديه » لبلاش عمّون

الموسيقى

طريقة مخترعة جديدة

لتقسيم الاثني عشر بعدًا في الديوان الموسيقي

ان مسألة قسمة الابعاد في السلّم الموسيقي قد استرعت اهتمام الفلاسفة منذ القدم حتى يومنا هذا . فدرسها جمهرة من الفلاسفة والعلماء من امثال فيثاغوروس اليوناني ، وصفي الدين الحربي ، وساليناس الاسباني ، وموريس مانويل الفرنسي ، وبروثو البلجيكي . وبالرغم من الجهود العظيمة لم يتوفق العلم الى ايجاد حلّ نهائي لهذه القضية .

وقد وفق الاستاذ اللبناني وديع صبرا الى اكتشاف مقياس للابعاد ، فحلّ بذلك اهمّ وادقّ المسائل الموسيقية ، والقى في ١٧ نيسان سنة ١٩٤٠ ، في دار الكونسرفاتوار الوطني ، محاضرة عن تقسيم الاثني عشر بعدًا في الديوان الموسيقي ذكر فيها كيفية تقسيم السلم الطبيعي والتقسيم ذي الضبط التام (Système de la justesse absolue) والتقسيم الميزوتونيكي الذي كان يستعمله الغربيون من القرن السادس عشر الى نصف القرن التاسع عشر حيث أبدل به التقسيم المعتدل (gamme tempérée) وجاء على ذكر تقسيم العلّامة برودان بروثو وغيره من العلماء الحاليين ، وقد ذكر في نهاية المحاضرة ، تفوّق الطريقة المتممة الجديدة التي اكتشفها وكان لديه آلة مونوكورد مثلثة تعطي « النغم » الموسيقية (les accords) بدقة تامة فاسمع الحاضرين الفرق ما بين دوزان بيانو على الطرز العادي ، وبين بيانو دوزنه على الطريقة المتممة الجديدة .

وقد كتب اليه العلّامة هنري رابو ، مدير كونسرفاتوار باريس ما فحواه : « ان اكتشافكم لا يقلّ اهمية عن تربيع الدائرة » وفي رسالة للعالم الموسيقي

المعروف في دروسه ، الاستاذ برودان بريثو (P. Pruvort) اطراء كبير لجهود الاستاذ اللبناني ختمه هكذا : « لا شك في ان اعمالا كاعمالك سيكون لها تأثير عظيم في مستقبل الفن الموسيقي العالمي الذي هو كالمجتمع في حاجة الى النظام والحقيقة » .

الموسيقى العربية اصل الفن الموسيقي الغربي[1]

أعطيت هذه الرسالة في محاضرة القاها الاستاذ صبرا ، اولاً بالافرنسية في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القديس يوسف ، في ١٠ كانون الاول سنة ١٩٤٠ وثانياً بالعربية ، في دار الايتام الاسلامية ، في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤١ .

استشهد المحاضر اولاً بكتابات اهم رجال العلم الغربيين في هذا الموضوع فقال : كتب اوجين بوريل (Eug. Borrel) رئيس الجمعية الموزيكولوجية في باريس : « ان معظم تواريخ الموسيقى لم يرد فيها شيء يذكر عن الموسيقى العربية . وجل ما عنالك ان بعضها يلمح اليها تلميحاً » ، وهي عادة الفتيا الجامعات التي تحول معظم الاهتمام الى الدروس اليونانية واللاتينية والى كل ما هو اوروبي . اما ما يختص بالدروس العربية فيحسبونه خارجاً عن المناهج . وقال ايضاً ان هيغو ريمان (H. Riemann) في كتابه تاريخ الموسيقى اورد ما يأتي : « ان نظرية محمد بن عبد الحميد اللاذقي المختصة بالابعاد الموسيقية لهي ذات فائدة عظيمة لكونها تدعم نظرية اتفاق ثلاثية الماجور (La consonance de la tierce majeure) في زمن (القرن الرابع عشر) كان فيه علماء الفن الغربيين لا يزالون يستوحون نظريات علماء اليونان فيما يختص بهذه الابعاد .

ثم برهن بواسطة الارقام أن صفي الدين هو الذي اكتشف الديوان الفيثاغوري المستعمل عند الغربيين والذي هو اصل فن الاصطحاب او المسارقة (Harmonie) وقال « اذاً يستطيع العرب ان يفاخروا باكتشافهم نغمة

---

١) نشرت هذه الرسالة باللغتين العربية والافرنسية معاً وهي تطلب من جميع مكاتب بيروت .

الماجور الطبيعية التي هي اصل السلم الفيزيكي الذي لم يعمل العالم الغربي الكبير (جيوزفو زرلينو) (G. Zarlino) الذي جاء في القرن السادس عشر سوى انه اظهر افضلية هذا الديوان الذي وضعه العرب قبله باربعمائة عام .

واهم ما تحتويه هذه الرسالة طريقة مبتكرة للتمكن من عزف الدواوين الموسيقية التي كانت مستعملة في عهد الخلفاء .

وتكلم الاستاذ صبرا من بعد ذلك عن المعلومات التي ادلى بها العالم التركي رؤوف يكتا عن التناقض الموجود بين علماء الشرق والغرب في تفسير ما كتبه فلاسفة اليونان والعرب باثبات علامات السلم الموسيقي ذاكراً ما كتبه الموسيقي الافرنسي الكبير كميل سانسانز (C. Saint-Saens) في احد مؤلفاته « اننا نحصي ونعرف الكوماليات (الكوما تسع البرج) لكننا لا نستعملها ونكتفي بأنصاف الابراج لامزجتنا ، على ان الحقيقة الموسيقية ليست في طريقتنا المرتكزة على انصاف الابعاد المترادفة (كعلامتي دو ديهز وري بول مثلاً التي جعل الافرنج منها علامة واحدة) التي ليست الا طريقة تقريبية ولا بد اننا لن نكتفي بذلك متى صارت يوماً ما اكثر دقة . حينئذٍ ينشأ فن جديد ويصبح الفن الحالي كاللغات الميتة تبقى تآليفها ولكن لا ينطق بها . »

والفن الجديد الذي يعنى به الكاتب الافرنسي هو الفن الذي ابدعه علماء العرب في عهد الخلفاء العباسيين .

ثم فند المحاضر ما كتبه العالم الافرنسي جول روانه (Rouanet) في دائرة المعارف الموسيقية بأن الموسيقى العربية بقيت في جمود من ايام الفارابي الى يومنا هذا متخذاً من قوله حجةً عليه اذ اننا بسبب هذه الذهنية العربية المحافظة قد تمكنا من تناول الموسيقى التقليدية وتفهم الفارابي وصفي الدين ، وان الموسيقى التي تناولناها تقليدياً ستكون كالشبكة التي ستحاك عليها موسيقى المستقبل .

وختم الاستاذ صبرا هذه المحاضرة النفيسة بقوله : « فعسى ان تعطى الموسيقى العربية المقام الاول الذي تستحقه ، وان تعلن الاوساط الاوربية تفوق النظريات الموسيقية العربية ، وكونها اساس الموسيقى العصرية الحقيقي . حينئذٍ يصير

كونسرفاتوارنا اللبناني الصغير المتواضع بمقام « فيلامديسيس »[1] جديدة تنقل من الشرق الى الغرب تلك الموسيقى التقليدية التي اورثنا اياها اساتذة عظام والتي ستكون سبباً لتوحيد هذا الفن الجميل ، الذي قال عنه العالم الموسيقي الشهير برودان پريثو هو كسائر الاوضاع البشرية ، بحاجة الى النظام والحقيقة .

و . ص .

الموسيقى الدينية

شهدت بيروت ، في السنة الفائتة ، ثلاث حفلات سماعية للموسيقى الدينية ، اقبل عليها جمهور المثقفين برغبة متزايدة .

منها السماع الذي قام به الاب بولس پنسيايل (Pincemaille) على أرغن الكاتدرائية اللاتينية للآباء الكبوشيين، فكان متسماً لحفلةٍ من الفنا. الديني . وكان من اهم روائع السماع « رعائيّة » فرانك ، خرج منها الموسيقي الفنّان على افضل ما يمكن من حذق ومهارة .

ومنها الحفلتان اللتان اقامهما السيد روبيّار (Robilliard) مستخدماً أرغن كنيسة الجامعة اليسوعية . ولم يتناول منهاجه في السّماعين الّا قطعاً أرغنيّة بحتة . وقد تشابه المنهاجان بكونهما جمعا قطعاً قديمة من ارباب القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ، الى قطع حديثة لبعض معاصري الموسيقيين . فكان من اروع ما سمعناه مقاطع من تأليف كليرَمبر (Clérambault) وكوپيران (Couperin) يليها « مَدخَل » باخ (Bach) و« رعائيته » وغير ذلك من آثاره الجليلة . واخيرًا قطعة بطليّة لقيصر فرانك المذكور آنفاً ، شعر الناس بما ضمّنه فيها الموسيقي الكبير من عراك عنيف بين روح الشرّ المتمثّل بالموجة المتقطّعة الرهيبة ، والنغمة المليئة المطمئنة التي تمثّل روح الخير . فتحقّقنا فيها تأثير واغنر الكبير .

ونذكر ، في الحفلة الاخيرة ، قطعة مهمّة من تأليف السيد روبيّار نفسه ، ادخلها بين آثار المعاصرين فكانت موضوع اعجاب الكثير من المتذوّقين .

---

١) هي مؤسسة افرنسية في رومية يؤمّها الافرنسيون الحائزون على جائزة الناجحين الكبرى فيقضون فيها ثلاث سنوات لاكتساب طابع جديد لموسيقاهم .

الراديو

عهدنا الى طائفة من الاختصاصيين بدرس مظاهر النشاط الفكري في هذا الشاطئ الخصب من المتوسط ، وأمكنا من تكليف احد نقد محطة « راديو الشرق » الفنية . وهي — في تقلقلها بين عتم الهزال وتقبل ما هبَّ ودبَّ من معزوفات — كأنما تعمدت ان لا تنتسب الى موسيقى ، فلم تندّ عن هذا الشرط واحدة منها على ايم وديع صبرا او أركادي كوغل ، او أقلّه ، على اسم غاو يحمل شهادة من معهد موسيقي . ومن « محاضرات » لم يكن يلفظ الواحدة منها موهوب حتى تتوالى النكرات بالعشرات ، فتجيء اقرب الى نجاجات متعيش او علق على السياسة والأدب منها الى نتاج الخلق الفكري . ومن أناشيد تتحدّى ثرة ذلك البكاء الزخر من طقاطيق مصر الذي تربأ ان تنشره صحيفة هزيلة من صحف الأقاليم ؛ وتنفلت عليك طوراً ، باسم بعث التراث القومي ، وعلى ذمة طرح من المنشدين ، اغنية قديمة لم تمرّ عليها يد فنان تقلّم منها العنجهيّ ذا الوتيرة المملة الواحدة . وتوجه الخلو النابض بحرارة الشعبية ، اذ تقديم الاغنية على مأدبة الفن شيء ، وتسجيلها برسم المتاحف كوثيقة تاريخية شيء آخر . — أجل أمكنا من تكليف أحد نقد هذه المحطة الفنية وهي ما تزال غير خليقة بالنقد .